إضاءة

يكمن مشروع الباحثة سلمى مرشاق سليم في تسليط الضوء على الدور الرئيس لشوام مصر من خلال عملَيْن متكاملَيْن خصّصتهما لاثنَيْن من أبرز وُجوههم الذين غمطهم التاريخ حقّهم. يتعلق الأول بنقولا الحدّاد (1872-1954) والثاني بإبراهيم المصري (1900-1979)

نجم الدين خلف الله

في الأثر البعيد لشوام مصر

سلمى مرشاق سليم

سلمى مرشاق سليم

«شوام مصر» إضافة تشريفٍ، حسب عبارة القدامى، يُشرَّف طرفا الإضافة عبْرها أحدُهما الآخر، وفيها يُسند المثقّفون القادمون من بلاد الشام إلى مصر، التي جاؤوها لإرفاد الحركة الثقافية بخصوصيات المشرق، كنغمةٍ تُستجلب من وراء الحدود لتثري نشيدًا محليًا. كما تومئ هذه الإضافة إلى الانسجام التامّ الذي رَبط بين نُخبة مُهاجرة ومصر التي صارت لهم موطنًا، عن روحها العميقة يُعبّرون وفي أجوائها يتنفسّون، كأنّ البلدَيْن، منشأ أو إقامة، رئتان مُتكاملتان، منهما تشيعُ أنفاس الآداب والفنون ونفائسها.

ورغم الأهمية القصوى التي حظيت بها هذه الظاهرة، فإنها لم تَنل حظّها من التحليل، ضمن «النهضة العربية» ولا اعتُبرت في تطوّرها مُولّدًا من المولّدات الأصيلة التي أضفت على فكرها طابع الانفتاح والنسبية، وحتى الكونية، طابعًا يُخفّف من غُلواء الثقافة الواحدة، ذات المرجعية البَيْتية والصَّوت الغالب.

أدركت سلمى مرشاق سليم، وهي ابنة شوام القاهرة، منذ أيام الطّلب الأولى في رحاب «الجامعة الأمريكيّة» هناك، أهمية هذه الفئة التي كانت، في «أرض الكنانة» تُشارك، جنبًا إلى جنب مع إخوانهم المصريّين، في نحت بناء فكريّ، ظلّ لعقودٍ يتلمّس طريقه ثم يُضيئه للآخرين. اصطلح جميعُهم على الانخراط في «النهضة» وإرادوها ازدهارًا للعرب بعد طول غَفوةٍ، لسانُها عربيٌّ معاصِرٌ جامعٌ، لا تطاوله حدودُ الجغرافية وإن رسَخها مستعمر بغيض.

يكمن مشروع هذه الباحثة المقتدرة في تسليط الضوء على الدور الرئيس لشوام مصر من خلال عملَيْن متكامليْن خصّصتهما لاثنَيْن من أبرز وُجوههم الذين غمطهم التاريخ حقّهم. يتعلق الأول بـ«نقولا الحدّاد (1872-1954)، الأديب العالِم» (دار الجديد، 2013)، وبسائر مساهماته التي تكشف عمق اغواره في ميادين القلم والعلم، وفيه انجزت إحصاء دقيقًا لكلّ ما اصدره الحدّاد من آثار، طبلة عقود، توزّعت على أعمدة الصّحف والمجلات. ولم تكتف الباحثة الصبورة بذكر عناوين هاتيك الآثار، بل قدّمت عن كلّ نبذةً، موجزة ولكنّ كافية، أبانت عن المضمون والتاريخ الدقيق، كما ربطت النصوص بعضَها ببعض لتقديم رؤية هيكلية مترابطة، يُفهم كل واحدٍ منها في علاقاته العضويّة بالبقيّة.

وأما ثاني هذه الأعمال، فدراسة مُفصّلة عن الآثار الكاملة لـ «إبراهيم المصري (1900-1979) رائد القصّة النفسيّة»، (دار الجديد، 2006)، وقد اضافت إليه عنوانًا فرعيًا: «مدخل ببليوغرافي»، مما يؤكّد أنّ عملها «مسلكٌ يساعد الدارسين على السباحة في نهر هؤلاء الكتّاب». وفيه، بذلت سلمى مرشاق مجهودًا جبّارًا في استقصاء حيثيات كلّ مقال وأقصوصة أو كتاب لاستعادة سياقه الثقافي والتاريخي الذي يمكّن القارئ من فهم دقيقٍ له، بعد أن ذَكّر خُلاصته. ولذلك، كان هذا البحثُ مُزدوج القيمة، تضمّن من جهة أولى ببيلوغرافيا دقيقة عن هذا الكاتب الرائد شملت كلّ إنتاجه، ومن جهة ثانية، فتح حقلاً معرفيًا خصبًا، حول الإسهام الشامي في المشهد الثقافي المصري الذي كان مرآة عاكسة للعقل العربي أواخر عصر النهضة وفترة ما بعد الاستقلال، حيث انكب هذا الفكر على تحديد هويته وتجديد شكله التعبيري بقطع النظر عن الجذور الجغرافيّة لرواده. ولطالما اعتبرها حُدودًا مصطنعةً.

وهكذا، تندرج أعمال سلمى مرشاق ضمن التدقيق الفيلولوجي الصارم، الذي قلّ اليوم في ميدان الأبحاث أتباعُه. وهدفه الإحاطة الكلّية بمؤلفات العَلَم المدروس والحصر الشامل لإنتاجه، لاسيما إذا كان متفرقًا في أعمدة الصحف أو قد حُبِّر على فترات من الزّمن متباعدة، فلم يُعنَ بجَمعه، أو إنه كُتب بأسماء مستعارة، يصعب التحقق من نسبته إلاّ على أهل الاختصاص.

وقد نهضت سلمى مرشاق بهذه الجهود جميعِها مواصلة لذلك التقليد العلمي، المكتبات ورفوف الأرشيفات والتنقيب في مئات الصّحف والمجلّات، وجلّها غير مُفهرَس، مما يؤكد قيمة جهدها المبذول... والمغمور.

كان الطموح الأول الذي حرّك سلمى مرشاق إصدار عمل يشبه سلسلة «نوابغ الفكر العربي» ويحتذي أسلوبها الذي كان يُلهم عقول الناشئة، بفضل رَسْمه البديع لسير الكبار. لعلّها عَدلت عن ذلك والتزمت بالمنهج الفيلولوجي الذي يُهدي أعمالها «مستندًا يعتمده كلّ مَن يَرغب دراسة مؤلفات» شوام مصر.

يُظهر هذا المنهج الذي اجتُرح في هذَيْن التاليفَيْن، أنّ ظاهرة «الشوام» ليست مجرّد موضوع تاريخيّ، بل حقل معرفيّ وليد، حقيق أن تُستكشَف مساحاته الفسيحة وأن تُرتاد مسالكه الوعرة، شريطةَ ألاّ نكتفيَ فيه بترديد شعارات الأخُوّة وأن يصار إلى التنقيب الدؤوب في ثنايا الفهارس والكاتالوغات وبطون الصحف والمجلات، عن جماع الآثار التي حبَرها هؤلاء الشوام وهم يخدمون مثلاً ثقافيًا أعلى، كان الانتماء فيه إلى وطن المعرفة باتساعه وترامبه وخوض تجارب الوعي بجسارة القلم والفكر، في عربية حداثية ناصعة تفيد من أجواء الحرّية وتغتني من عيون الفكر النقدي، وهي ثَرّةٌ غَزيرة.

إلا أنّ الحقل الذي دشّنته سلمى مرشاق أوسع من أن يستنفذه كتابان أو ثلاثة. ووجوه الشوام المصريّين المشهورين ينبغي ألاّ تخفي عشرات المفكرين الذين، لما حلّوا بمصر، أسهموا بالتدريس والكتابة وإنشاء الجمعيات، زمنَ كانت أكبر مُدنها تغلي ثقافةً وفنًا وتشتعل حوارات فكرية وسجالات حول أمهات قضايا السياسة والفنّ والدّين التي كانت تهزّ عالمنا العربي، إثر خريفَيْن عالميّتَيْن وقبلهما، في بحثه عن هويّة جديدة، بعد أن جثم الاستعمار لعقودٍ ثم ولّى.

(كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في باريس)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

سؤال مؤلم

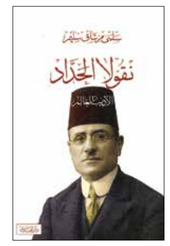

لماذا انقطعت ظاهرة شوام مصر ولم يعد مثقفو الشام جزءا من نسيج الثقافة المصريّة التي تكاد اليوم تتماهى مع السّلطة؟ ولماذا غابت هذه الاهتمامات الموسوعيّة لدى كتّاب البلديْن؟ لا شكّ انّ الجواب يكمن في اجواء الحرّية التي سادت في النصف الاول من القرن العشرين والتي ابدعت سلمى مرشاق في وصفها واحيائها. شهادتها على عصر الشّوام نفيسة، ثمرة الاف الساعات التي أرّجتها بين الكتب المصفرّة والجرائد والمجلات المهترئة.

حقل خصيب حول الإسهام الشامي في الثقافة المصرية

مَسلَكٌ يساعد الدارسين على السباحة في أنهر أهملت خرائطها

ورُبما تأثرت فيه بأساتذتها الغربيين الذي أشرفوا على أعمالها، الذي ساد في سبعينات القرن الماضي. وهو تقليد حقيق أن يعاد اليوم إلى باقة المناهج والأدوات البحثيّة الجامعيّة التي أصابها الهُزال فلم تقو على ممارسة مثل هذه الاستقصاءات الشاملة التي تَتطلّب التيةً في أضابير

فصائد

ولا حتى أكثر الأشواك ضراوة

بَتلاتٌ تساقط في بيت نسيانك

تشياغو بونسي دي موراييس

كتابة
لستُ قادراً على تخيّل أيّ لغةٍ كانت.
والصباحُ ينكسرُ مثلَ جرحٍ على شفَتيك.
تفتحُ فمكَ، ولا تنزفُ منه طيلةَ النّهار
سوى كلمةٍ واحدة.

بَتلاتُ الورود: تتساقطُ في بيتِ نسيانك.
وأوراقُ الشجرِ على الأرض وظلالُ أوراقِ الشجر
حيثُ يغيضُ الطريق. الليلُ
لا يحتاجُ إلى نجوم.

أوراقُك تتناثرُ منها الرّمال،
وما تزال الكلمةُ نوراً.
ولا شيء يضيعُ أبداً.
■■■

صخور بركانيّة
من أعالي هذا النّهار حيث ينتشرُ بعض الضوء،
يرتدّ صدى ظلال مايو في حضورِ المساء.

شجرةُ الكرز تُلوّحُ بزّهرها -
مرتجفاً ومتردداً على التراتيل التي يتخلّلها آخر الصيف.

يزرعُ كويكبُ سيريس في البذور
نسيانَه الفاضح.
بوركتَ يا سيريسَ العظيم
الذي تجعلُ كلّ شيءٍ يزدهرُ بالكلمات.

تُحدّثُ المُروجُ القرمزيّة، في سويعاتِ المساء،

و
سكراناً نعساً
تؤسّسُ اسمك.
■■■

النجوم
دائماً هذا، ودائماً الآخر،
أو ربما لا هذا ولا الآخر.
ÁLVARO DE CAMPOS -

تقتربينَ من هذا الاسم بالكلماتِ القصيّة،
وباسمكِ الذي تمزّقه الجذور
التي تبحثُ عن الملح.

تُريكين استراحةَ النّهار إذا أشرقتِ
وتفضحين حقيقةَ الناس
الذين يجدون صباحاً حقيقياً
في نهار الكلمات.

نيرانُكِ حزينةٌ
مفضوحةٌ في اللحن الغافي
بين الكلمةِ المسموعة والكلمةِ المكتوبة.

تعطّلَين الأسماء، وتقاربين الأصواتَ من ألف طريق وطريق.
وفي هاويةِ الكلمات
تسقطين.
■■■

انحرومیدا
لا وجودَ للعقل.
هناك في الغالب نجومٌ وأشواق.

افتح كتاباً وستعرف كم عدد الأبراج
التي لن تسلُب لَبَك.
ترغبُ وأنت تداعبُ شَعرَكَ الرمادي في
أن يكون هذا
هو الملاذ الذي تبحثُ عنه،
الكلمةُ موجودةٌ هناك
ولكنها تنزلقُ من بين أصابعك.

لديك ذكرى واحدة فقط، تلتمعُ وتخفتُ،
تشتعلُ وتنطفئ، كلما استرجعتَها.
احتفظْ بذكرياتِك على شكلِ ألوانٍ،
حتى الذكريات الميّتة،

بطاقة
تشياغو بونسي دي موراييس (Thiago Ponce de Moraes) شاعر وناقد وأستاذ جامعي برازيلي، من مواليد ريو دي جانيرو عام 1986. من مجموعاته الشعرية: «الشبح» (2006)، و«إيماءات كسولة أو لا شيء» (2010)، و«ينحني فوق الضوء» (2016). نُشرت مختارات ثنائية اللغة من شعره بعنوان Glory Box في المملكة المتحدة عام 2016، وسينشر كتابه الجديد هذا العام بعنوان «مساحة للرثاء» Espacelamentos. كما صدر له كتابان نقديان.

والحقها بهمسةٍ من صوتك.
لا شيء
لا أكثرَ النجوم لمعاناً، ولا حتى أكثر
الأشواق ضراوة:
كلّ اكتمالٍ مجرّدُ نقص: الحبّ/ والزمن.

ولكنك ما زلت تتمتّعُ بشَعركِ الرّمادي
الذي اتّكأتَ عليه
طيلةَ حياتك، رافعاً وجهَكَ صوبَ السّماء.
■■■

جمال عابر
ليس الجمال الذي تخلقينه
ما يعانقُ الأيدية بلطف في عينيّ
بل جمالك الداخلي.
أشعر باصابعك تسترسل بخفةٍ على رقبتي
هناك تحت الأشجار حيثُ تمنحُنا
الطبيعة ظلّنا.
شفتاكِ العابرتان، بشرتُك
تبدّدُ صوتي: إلى مجرد لحظات هاربة
من الظهيرة.
تنامين على صدري وتُلقين عليّ ظلّكِ
وشَعرَكِ،
جمالُك الداخلي العابر
هو كلّ ما أحتاجُه حقاً.

(ترجمة: عماد الأحمد)

تشياغو بونسي دي موراييس

إطلالة

في الديمقراطيات والشموليات على السواء

السلطة الرابعة... وداعاً

جدارية لـ مارك وارن

إذا كانت السلطة الرابعة قد انتجت نفسها، إلا انها اليوم في خطر، ويُخشى انها لم تعد تتمتّع بهذه الصفة، وربما آن الاوان لنقول لها وداعا

فوّاز حداد

قبل انتهاء القرن الثامن عشر، نبّه المفكر السياسي إدموند بيرك، في مجلس العموم البريطاني، إلى أنّ الصحافة أكبر أهميةً من الطبقات والأحزاب، وكانت في ذلك الوقت: رجال الدين والنبلاء والعوام. بذلك وضع بيرك مفهوم الصحافة كسلطة رابعة.

في الواقع، انتزعت الصحافة مكانتها وساحات سلطتها، وجرى الاعتراف بها بموجب تواجدها وتدخّلاتها واختراقاتها للفضاء العام. لم تُمنح لها السلطة بقانون، كالسلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، مع الزمن باتت مركز ثقل، تتمتّع بقوّة هائلة من خلال تأثيرها على العقول، لم يقل تأثيرها عن المدرسة والجامعة، إن لم يكن أكبر، وعلى مدى زمني أطول، بتناولها شتى المواضيع: دينية وسياسية وأدبية وفلسفية واجتماعية وأخلاقية وتسلية وترفيه.

أصبحت ذات دور لا يُستهان به، يعادل أو يفوق قوّة الحكومات، وإن لم تكن سلطتها رسمية، قادرة على التدخّل في أعمال السلطات الثلاث ومراقبة أدائها، وتصحيح مسارها من خلال ما تنشره من أخبار وتحقيقات وتسريبات وفضائح، بالرغم من إمكانياتها المحدودة، لم تكن مسلّحة إلا بالقلم، لكنه يجرح، وقد يقتل.

برهنت الصحافة أنّها قادرة على تغيير مسارات خاطئة، وحماية حقوق المضطهدين والأقليّات في العالم. ونجحت في هزّ عروش زعماء استأثروا بالسلطة لسنين عديدة، والتشهير بفساد الحاشية، وأجهزة الأمن، والقيام بالتعبئة ضد أوضاع سيئة، في بلدان اعتاد حكّامها على قمع شعوبهم، وإسكات المعارضين، والحجر على الإعلام. وأكبر ما سجّلته من نجاحات كان في تغيير الثقافة المجتمعية والفكرية، أحياناً من خلال تحويل قضيةٍ ما إلى قضية رأي عام. وأسهمت بنشوء حركات اجتماعية، والتحريض على تحركات ومسيرات داعية إلى تحسين الأوضاع السياسية والاقتصادية

صحافة موجَّهة تهدف إلى تطويع المواطنين وتحويلهم إلى قطيع

والاجتماعية، وتعاظم دورها لدرجة أنها باتت قادرة على الإطاحة بسياسيّين قادة، ورؤساء وزارات وأحزاب، وإسقاط حكومات، واعتزال سياسيين. في الدول الشمولية، تقوم السلطة بالسيطرة على وسائل الإعلام، بقيادة حزب واحد، وفي الحقيقة رجل واحد يضع الخطوط الكبرى التي تتقيّد بها، عدا تدخّل أجهزة المخابرات في كل ما يمتّ للأخبار والبرامج مهما كان نوعها، من دون إغفال أدق التفاصيل. تضع الدولة يدها عليها تحت عنوان الإعلام الموجّه، وتحدّد سياسته الهادفة إلى تطويع المواطنين وقولبتهم على الاعتقاد الواحد، وتحويلهم إلى قطيع من البشر. بينما في الدول الديمقراطية، إذا كانت تمثّل مصالح الشعب، لكن أي شعب؟ طالما النخبة السياسية تستغل شرعيّتها كسلطة منتخبة، وتعمل على تحجيم وسائل الإعلام، وسلبها حريّتها، وجعلها بوقاً للسلطة السياسية، بالتحايل على ركن أساسي من أركان الديمقراطية، ولو كان بالإطاحة به، ودائماً المخاوف واردة في الدول الديمقراطية من احتكار الإعلام لصالح أحزاب معيّنة، ما يحرم خصومهم السياسيين من إمكانية التعبير عن آرائهم وأفكارهم. فالديمقراطية تعني تعدّدية الآراء والأفكار.

(روائي من سورية)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

فعاليات

تقدّم «دارة الفنون» في عمّان عند السادسة من مساء اليوم الثلاثاء عرضاً افتراضياً بعنوان **تواز** للفنان **هارون فاروقي**. يتضمّن العرض تحقيقاً موسّعاً في أنظمة التمثيل السائدة والعوالم المُولّدة خوارزمياً، وإخضاع عمليات الحياة المعقدة لأدوات القياس والحساب من خلال العاب الفيديو الشعبية.

حتى الخامس من الشهر الجاري، يتواصل معرض **لمحة من الطبيعة** في «مطافي» بالدوحة، وهو يتضمّن نتاجات فنّانين ضمن إقامة فنية نظّمتها «متاحف قطر»؛ هُم: **مي المناعي**، و**عائشة المهندي**، و**فاطمة النعيمي**، و**نجلا آل ثاني**، و**امينة اليوسف**، و**نوربانو حجازي** (الصورة)، و**مايكل بيروني**، و**مريم رفاعي**، و**غيوم روسيريه**، و**تيتيكا ستاموليو**.

الفلسفة وعلم البيئة وسياسة الخسارة في القرن الحادي والعشرين عنوان اللقاء الذي ينظّمه فضاء «غلوريا إي انزالدوا» في لندن عند الثالثة والربع من عصر بعد غدٍ الخميس. يناقش المشاركون تساؤلات عدّة من بينها: كيف يمكن التفكير في الصلة بين الحزن والراسمالية؟ وهل يمكن ان يصبح الحزن وقوداً للعمل السياسي؟

تقيم «وكالة بهنا» في الاسكندرية عند السادسة والنصف من مساء بعد غدٍ الخميس فعالية بعنوان **حول تعليم الفنون**، وتشمل عرض فيلم **كويس** لـ **حسام السواح**، ويليه مناقشة بين الفنانتيْن **ناريمان ابو السعود** و**هدى ذكري** حول فرص تعليم الفنون المتاحة من تعليم اكاديمي وبرامج بديلة وتعليم ذاتي، والفارق بينها.